ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة
اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب
له ذلك في بطن امه وقيل ان الاية واردة على الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض
الغيب فيقول اكلت في دارك كذا صنعت كذا وانه احيى الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت
النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك واخبر ان الاله المستحق
لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام
ممن صور في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل
لا اله الا هو العزيز الحكيم وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولد الله
وقد صوره الله في الرحم قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب يعني القرآن منه آيات محكمات يعني مبينات
مفصلات احكمت عباراتها من احتمال التاويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كانه تعالى احكمها
فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها هن ام الكتاب يعني هن اصل الكتاب الذي يعول
عليه في الاحكام ويعمل بها في الحلال والحرام **فان قلت** كيف قال هن ام الكتاب ولم
يقل امهات الكتاب **قلت** لان الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام
الله كله شيء واحد وقيل كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية يعني كل واحد منهما
آية واخر جمع اخرى متشابهات يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه **فان قلت**
قد جعله هنا محكما ومتشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات وقد جعله كله متشابها في قوله تعالى الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها وجعل كله محكما في قوله كتاب احكمت آياته فكيف الجمع بين هذه الآيات
قلت حيث جعله كله محكما اراد ان كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله
متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه
متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة
الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة
وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابه
ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على
معناه والمتشابه ما استاثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة
مثل الدجال وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا
وقيام الساعة فجميع هذا مما استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا
والمتشابه ما يحتمل اوجها وروي ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف
المقطعة في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك انزل عليك الم فانشدك الله
انزل عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل
انزل عليك غيرها قال نعم المص فقال هذه اكثر هي احدى وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم
الر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مائتان

واحد

واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط فلا ندري بكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله
هذه الآية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لا يتكرر
لفظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه
ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص
والامثال **فان قلت** انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم
فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما **قلت** ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة
احدها ان القرآن نزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين الايجاز للاختصار والموجز الذي
لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره ولا اطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز
والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب
والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله
فكانه قال عارضوه باي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا انزل بما نستحسنه من الضرب
المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة وهي ان يشتغل
اهل العلم والنظر برد المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم
فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم
والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة
والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنى انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث
على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة
ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على
انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما انزل
الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه ليختبر
به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله
الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بني اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده قوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد
نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان
عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا
معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة في اوائل السور
وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية
فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة فيتبعون ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه
والمحكم على المتشابه ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله
بالمتشابه فهو المعني بهذه الآية ق عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم
الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى ابتغاء الفتنة اي
طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب فساد ذات البين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)